

الوافي في الوفيات

تُرَاعِي نَجُومًا فَيْكَ مِنْ حَرِّ قَلْبِهَا ... وَتَبْكِي بَدَمَعِي فَارِحٍ وَحَزِينٍ .
غَدَا قَلْبُهَا صَبَاً عَلَيْكَ وَأَنْتَ إِنْ ... تَأَخَّرْتَ أَضْحَى فِي حَرِيَاضِ مَذُونٍ .
وَكَتَبَ نَاصِرُ الدِّينِ حَسَنُ بْنُ النَّقِيبِ الفُقَيْسِيُّ إِلَى النَّصِيرِ وَقَدْ حَصَلَ لَهُ رَمَدٌ : .
يَقُولُونَ لِي عَيْنَ النَّصِيرِ تَأَلَّمْتَ ... وَلا زَمَهُ فِي جَفَنِهِ الحَاكُّ وَالْأَكْلُ .
فَقُلْتُ أَعَيْنُ الرُّأْسِ أَمْ عَيْنَ غَيْرِهِ ... فَلا لِعُلُوِّ شَيْءٍ لا يُدَاوَى بِهِ السُّفْلُ .
فَقَالُوا بَلِ العَيْنِ الَّتِي تَحْتَ صُلْبِهِ ... فَقُلْتُ لَهَا التَّشْيِيفُ عِنْدِي وَالْكَحْلُ .
وَمِيلُ بِمَاءِ الرِّيقِ يَبْتَلُّ سُفْلَهُ ... فَيَدْخُلُ سَهْلًا غَيْرَ صَعْبٍ وَيَنْسَلُ .
وَأَغْسَلَهَا بِالْبَيْضِ وَاللَّبَنِ الَّذِي ... عَلَيَّ بِتَقْطِيرِي لَهُ يَجِبُ الغَسْلُ .
فَإِنْ شَاءَ وَافَيْتُ الأَدِيبَ مُدَاوِيًا ... وَلَمْ أَشْتَغَلْ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ لِي شُغْلُ .
فَكَتَبَ النَّصِيرُ الجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : .
أَيَا مَنْ لَهْ فِي الطَّبِّ عِلْمٌ مُبَاشِرٌ ... وَمَا كُلُّ ذِي قَوْلٍ لَهُ القَوْلُ وَالْفِعْلُ .
أَتَيْتَ بِطَبِّ قَدِ حَوَى البَيْعَ وَالشَّرَى ... يَبِيِّنُ لِي فِي ذَلِكَ الخَرْجَ وَالدَّخْلُ .
وَإِنْ كَانَ ذَا سَهْلًا بِطَبِّكَ إِنَّهُ ... بِرِسْقَمِي صَعْبٌ لَيْسَ هَذَا بِهِ سَهْلُ .
فَلا عَدِمَ المَمْلُوكُ مِنْكَ مُدَاوِيًا ... وَمَا زَالَ لِلْمَوْلَى عَلَى عِبْدِهِ الفِضْلُ .
وَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّقِيبُ أَيْضًا وَهُوَ بِقَرْبِهِ وَفِي خُطْبِهِ : .
رَغِبْتُ فِي كَسْبِ أَجْرٍ ... وَفِي اغْتِنَامِ مَثْوَبِهِ .
وَهَانَ مَا كَانَ فِيهِ ... مِنَ السَّوْجِدِ صَعُوبِهِ .
وَلَسْتُ فِي أَرْضِ شَامٍ ... وَلَسْتُ فِي أَرْضِ نُوْبِهِ .
وَبَيْنَنَا رَمِي سَهْمٍ ... غَلَطْتُ بَلِ رَجْمُ طُوبِهِ .
فَكَتَبَ النَّصِيرُ الجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : .
رُحْمَاكَ يَا خَيْرَ مَوْلَى ... فِي العَرْتَابِ عُقُوبَتِهِ .
وَأَنْتَ إِنْ زِدْتَ عَتَبًا ... يَغْدُو غُلَامُكَ قُوبَتِهِ .
وَالعَبْدُ مَا زَالَ يَهُوَى ... لا بَلِ يَحِبُّ الرُّطُوبَةَ .
تَمُوزُ فِكْرَكَ وَالعَبْدُ ... فِكْرُهُ فِيكَ طُوبَتِهِ .
وَمِنْ شَعْرِ النَّصِيرِ دُوبَيْتٌ : .
فِي وَجْهِكَ لِلجَمَالِ وَالْحُسْنِ فَنُونَ ... فِي طَارْفِكَ لِلسَّحْرِ فُتُورٌ وَفُتُونُ .
إِنِّي أَسْلُوهُوَكَ يَا مَنْ بَاتَتْ ... عَيْنَاهُ تَقُولُ لِلهَوَى كُنْ فَيَكُونُ .

ومنه : .

إن عجل النوروز قبل الوفا ... عَجَّلَ للعالم صَفَعَ القَفا .

فقد كفى من دَمَعِهِم ما جَرَى ... وما جَرَى من نَيْلِهِم ما كَفَى .

أنشدني إجازةً العلامةُ أثير الدين أبو حيان قال : أنشدني النصير الحمامي لنفسه : .

إنِّي لأكرهُ في الأنام ثلاثةً ... ما إن لها في عدّها من زائدٍ .

قُربَ البخيلِ وجاهلاً متعاقلاً ... لا يستحي وتودُّداً من حاسدٍ .

ومن البليّة والرزية أن تَرَى ... هذي الثلاثة جُمِعَت في واحدٍ .

وكتب النصير إلى السراج الوراق من أبيات : .

كنتُ مثل الغزالِ وإِني كفي ... صرّيتُ في وجهه إذا جئتُ كلباً .

ولعمري لا ذنبَ لي غير أني ... تُبِتُ طَنُّ ذلك ذنباً .

وهو لَو جاءني وقد تُبِتُ حتى ... يبتغي حاجةً فلان أتأبى .

فكتب الوراق الجواب ومنه : .

وأتى الطّـبـيُّ مُرسلاً منك فاستغ ... ربتُ لمّا دَعوتَ نَفْسَكَ كلباً .

ولكّـم جئتُ عادياً خلفه تُلهتُ ... عدواً للصيد بُعداً وقُرباً .

غير أني نظرتُ عينَ صَفِيّ الدين ... كادت أن تشرب الطّبيّ شُرباً .

فاترك التوبة التي قد رآها ... لك وِزراً كما زَعمتَ وذنباً .

واجتهد في رضاه عنك وقَرِّب ... كلَّ نَأْيِ المدى تَدَلَّ منه قُرباً .

فلكّـم رُضتَ جامحاً في تراضيه ... وذلّـلتَ بالسّفارة صعباً .

وكتب إلى السراج أيضاً مُلغِزاً في نون : .

ما اسمُ ثلاثيُّ يُرى واحداً ... وقد يُعدُّ اثنين مكتوبه .

يظهر لي من بَعْضه كله ... إذ كل حَرفٍ منه مقلوبه .

أضرف ثمانين إلى ستةٍ ... إن شئتَ لا يَعدوك محسوبه .

اطلبه في البرِّ وفي البحر ... لا فات حِجَى مولايَ مطلوبه .

فكتب الجواب الوراق :